

رَمَضان.. وَحُسْنُ الاستِقبالِ حسن مهدي قاسم الريمي



الحمدُ لله الذي جعلَ شهرَ رمضان سيدَ الشهور، وضاعفَ فيه الحسنات والأجور، والصلاة والسلام على نبينا محمد أفضل من صلى وصام وعلى آله وأصحابه البررة الكرام. أما بعد:

فأيام قلائل - أيها الأحبة - ويحل علينا ضيف كريم وموسم عظيم من مواسم التجارة مع الله الذي طالما انتظرنا نفحاته من العام للعام، وطالما تاقَتْ أنفسنا لنسماته التي تغمرنا بما فيها من أريج الطاعات، وقعين القربات، وفيض العطايا والرحمات.

رمضانُ يوشكُ أن يَهْبَّ هَبِوبُهُ
وتذوَّبُ في نفحاتِهِ أرواحُنَا

هذي نساءئُهُ وتلك طُيوبُهُ
كالأفنياتِ البيضِ إذ تجتأخُنَا

فمن جميل نعم الله علينا أن يمد لنا في العمر، فيبلغنا هذا الشهر الفضيل الذي تُعَظَمُ فيها الطاعة، وتُطَيَّبُ فيها مظاهر القرب والضراعة، وتزدهي أرجاؤه بكل أنواع العبادة والقرب من الله تعالى، شهر الهدى والفرقان، شهر الرحمات والغفران والعتق من النيران، شهر اصطفاه الله تبارك وتعالى من بين سائر الشهور بشئى الخيرات والبركات، وخص به هذه الأمة، لرفعة الدرجات، والتنافس في الطاعات، والاجتهاد في العبادات والتسابق في مضمار الحسنات والفوز بأعلى الجنات.

إِنِّي بِسُوقِ مَالِهِ عِنَاؤٌ ..
لِليلٍ.. لِلْقُرْآنِ.. لِلنَّفَحَاتِ
يَبْعَثُ رُوحَهَا الرِّحْمَانُ

هَذَا الحَنِينُ يَقُولُ لِي
إِنِّي أَشْمُ سُدَّكَ يَا رَمَضانُ

وما أن يأتي رمضان - أيها الأحبة - حتى تشتعل نار الحنين بمقدمه، فتستحث همم المتقين، وتستنهض عزم العابدين، يرحبون بمقدم هلاله، ويبشرون الناس بقرب موعد قدومه، ويتغزلون في جمال هلاله.

أُقَلِّبُ طَرْفَ العَيْنِ فِي كلِّ وَجْهَةٍ
أهلُّ هلالٍ منك أم لآح مرقب!!!

أيا قادمًا رفقا فلقياك عندنا
لأحلى من الشهدِ المُصْقَى وأعذب

أيا قادمًا هلث بشائرُ قُربِهِ
نساءئُهُ قَاحَتْ فيا شَعْدَةُ قُرب

وخير ما يستعد به - أيها الأحبة - أن نجعل استقبالنا لهذا الضيف الكريم نقطة تحول في حياتنا الايمانية، وأن نحسن الاستقبال وأن نقف مع أنفسنا وقفات صادقة تكون لنا ذكرى جميعا في بداية هذا الشهر:

الوقفه الأولى: الدعاء.

قال -تعالى-: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر:60].

والدعاء النافع في استقبال رمضان على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: دعاء العبد ربه أن يبلغه شهر رمضان، فيدعو الله -عز وجل-: "اللهم بلغنا رمضان".

النوع الثاني: دعاء العبد ربه أن يوفقه فيه لصالح الأعمال، فيدعو ربه: "اللهم أعني فيه على الصيام والقيام، وسائر الأعمال الصالحة".

النوع الثالث: دعاء العبد ربه أن يجعله فيه من المقبولين، وأن يختم له بالعتق من النيران.

الوقفه الثانية: استحضر النية الصادقة في استقبال رمضان، فيجمع قلبه على أن يعمل في رمضان الصالحات، قال الله -تعالى-: (قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحجرات:16]، وقال النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات) وكان الإمام أحمد يقول لابنه عبد الله: "يا عبد الله، انو خيرا؛ فإنك وإن لم تعمل فنية الخير لك عمل".

الوقفه الثالثة: التذكير بأن في هذا الشهر الكريم ثلاث فرص للمغفرة ينبغي أن يستحضرها، وهو يستقبل هذا الشهر: قوله □: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه) [أخرجه البخاري ومسلم]. قوله □: (من صام رمضان إيماناً، واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه) [أخرجه البخاري]. قوله □: (من قام ليلة القدر إيماناً، واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه). [أخرجه البخاري ومسلم].

الوقفه الرابعة: أن يستحضر أن هذا الشهر شهر عبادة، وشهر تزود بزيادة التقوى، وليس شهر لهو أو غفلة أو مرح، أو شهر تفنن في أصناف الطعام، وألا يكون حاله في رمضان كما كان قبل رمضان، بل يحرص أن يكون حاله في رمضان أفضل من حاله قبل رمضان، فيحرص ألا يقع في صيامه معصية؛ لأن كل معصية تنقص من أجر الصائم.

الوقفه الخامسة: أن يعقد العزم على المحافظة على الفرائض والواجبات، والتزود من النوافل والطاعات، وتلاوة القرآن، وخاصة صلاة التراويح فيحرص ألا تفوته ركعة مع الإمام.

الوقفه السادسة: التخفف من مشاغل الدنيا، فالنبوي □: كان إذا دخلت العشر انقطع عن الدنيا وانقطع عن الناس وتفرغ للعبادة تفرغاً تاماً.

الوقفه السابعة: أن يستحضر أن يكون صومه لله إيماناً واحتساباً، كما في الصحيحين، قال □: (من صام رمضان إيماناً، واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه). فيعتقد بحق فرضية الصوم، وأنه يصومه مصدقاً بوعود الثواب عليه، من الله - تبارك وتعالى - وأنه من شرائع الدين، فيذعن، وينقاد قلبه لذلك، ويؤمن بأن الله يجزي على هذا الصوم، (إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزى به) [أخرجه البخاري]. وأما الاحتساب فهو أن يطلب الأجر من الله - تبارك وتعالى - وأن يحتسب الثواب، وذلك بأن يصومه عن معنى الرغبة في ثوابه، طيباً نفسه بذلك، غير مستثقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه.

الوقفه الثامنة: وجوب التفقه في أحكام الصيام، فالواجب على العبد أن يتفقه في أحكام ومسائل الصوم، وأن يتعرف على المفطرات والأمور التي لا تفطر، والآداب والسنن وغير ذلك مما يتعلق بشهر الصوم.

الوقفه التاسعة والأخيرة: أن يستحضر العبد أن شهر رمضان مدرسة لتجديد الإيمان، وتهذيب الأخلاق، وتقوية الأرواح، وإصلاح النفوس، وضبط الغرائز، وكبح جماح الشهوات، وأنه مدرسة للبدل والجود والبر والصلة، ومنهل عذب لأعمال الخير، وأنه محطة لتعبئة القوى الروحية والخلقية التي يحتاج إليها، وأن يكون له هدف من وجوده، يغتنم نفحات الرحمن، كي لا يكون ممن أدركوا رمضان إدراك زمان فحسب.

إِنَّا لَنَفْرِحُ بِالْأَيَّامِ نَقَطَعُهَا
وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يَذُنِّي مِنَ الْأَجَلِ

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا
فَاتَّقِ الرَّبَّ وَالْحَسْرَاتُ فِي الْعَمَلِ

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يبلغنا أجمعين رمضان، وأن يوفقنا لحسن اغتنام أيامه ولياليه، وأن يعيننا فيه على الصيام والقيام، وعلى ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يصلح لنا شأننا كله، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حسن مهدي قاسم الربيعي